Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قد لا حظنا فى القطعة السّابقة تحديد علامات التنصيص لما قاله هاتف الرواح "خام وزنبيل من التراب. وآخر العمر ردّى" ويظلّ بوسعنا حينئذ أن نتحدّث عن تقنيّة "التناصّ" فى خطاب السيّاب الشعرى دون أن نثقل على القارئ بالجهاز المفاهيمى النظرى الذى يدعمها، اكتفاء ببهاء المشهد الشعرى الخصب وهو يوظفها لإنتاج دلالته الحركيّة عند السيّاب. وعندئذ ندرك مدى جرأته المبكرة فى استخدام هذه التقنيّة بوعى كبير يجلعه يمزج مستويات خطابه الشعرى بعناصر سرديّة وشعبيّة ورمزيّة وأسطوريّة، بأبيات من شعراء سابقين عليه، وفلذات ممّا قاله من قبل، وجمل ممّا كان يعرفه معاصروه وضاعت الإشارة إليه، لكن أثر التحام أجزاء الخطاب ما زال ماثلاً أمام العيان، حيث يقوم التخالف فى اتجاه الخطاب الاستراتيجي والتفاعل بين طرفيه بمهمّة توليد معناه الجديد. ولما كانت جميع نصوص السيّاب حافلة بأشكال عديدة من هذا التناصّ فإنّ حسبنا أن نلتقى بقراءة مقطوعة واحدة من شعره السياسى السّاخن كى نتبيّن طريقته فى هذا التوظيف، وكيف تتخلّل أدواته الأسلوبيّة جميع مستويات تجاربه الشعريّة.

عندما يصف السيّاب مدينته العظمى "بغداد" بأنّها "مبغى كبير" يهرع فى هامش الصفحة ليثبت أنّ القصيدة قد "كتبت فى العهد المباد قبل ثورة ١٩٥٨"، ويشكّك نقّاده فى مصداقيّة هذه التقية، لكن بوسعنا أن نريح ضمير السيّاب ونفهم "بغداد" هنا باعتبارها نموذجاً للمدينة العربيّة فى جميع الأقطار، قبل الثورات بوعدها أيضاً، ما دامت لن تعرف أنوار الحداثة ولم تسطع عليها شمس الديموقراطيّة. لكنّنا لا نريد أن نتناول بالتحليل الدلالة السياسية للقصيدة، بل تتبع كيفيّة تولّدها عبر تحاور أجزاء القول الشعرى . فنلاحظ على الفور أنّ القصيدة لاتمضى بطريقة غنائيّة وصفيّة مألوفة؛ بل تعمد إلى تقطيع بعض المشاهد السرديّة وتوزيعها على أسطر تعتمد على التقابل التشكيلى فيما بينها بحيث يتخلّق فيها لون من تناصّ السياقات المتوازية، فهو يقول فى المطلع :

بغداد؟ مبغى كبيرْ

(لواحظ المغنّيهْ

كساعة تتكّ فى الجدارِ